



Source : AN NAHAR
Date : 20-6-98
Photo No. : 254

عندما تصبح الاناقة ثراء

من لا يعرفهما قد يتصورهما في حال تنافس ولعلمنا كانا يوماً كذلك. ولكن من تابعهما قبل أمس في الدوار - السابغة الذي نظمته نقابة المحامين لم يشاهد سوى زميلين عتيقين بل صديقان متواطئان لا يتناقضان الا في تبادل كلام التكريم ولا يتباريان الا في سعي كل واحد منهما الى توفير الجو الذي يريح الآخر. كل "استاذ كبير" بشهادة الآخر واصراره، والاثنان معا يؤديان عرضاً ممتعا يستوقف العين قبل الاذن.

للحظة، تنسى فحوى المناسبة وموضوع النقاش ولا تعود تنتبه الى غير الحركية التي ينتجها تجاور "الاستاذين" وكأنك امام الان ديلون وجان - بول بلموندو، في فيلم "بورساليانو"، اول لقاء سينمائي بين نجمي السينما الفرنسية.

ليس التشبيه اعتباطيا. فلا شيء اكثر من تجاورهما على منصة واحدة يؤكد هذه المالة الخاصة التي يتمتع بها (ومنهما) كل من "الاستاذ هيكل" و"الاستاذ غسان". نحن امام نجمين بل قل "وحدسي شاشة" ينفران من النجومية فيما ينظمان طقوسهما.

في الفكر، ليست النجومية نزقاً، وانما قد تكون اداة اثناء. هكذا فهمها هيكل، اذ اختار ان يأخذ جمهوره الى حيث لم يكن يتوقع. الى شبه القارة الهندية والخليج، ورؤية استراتيجية كنا خلناها نصبت في لغة العرب. الى "صراع الحضارات" و"رسالة الخليج" ومازق "قلب الامة" كما يحب ان يسمي مصر (ام تراه يشمل بالتسمية الشام والعراق؟ لم يشأ ان يحدد).

لا شك ان اختيار الموضوع فاجأ العديد من الحضور. لكن سعة البناء الهيكلية سرعان ما عادت واحتضنت الجميع. فامام ما سماه تويني "عمارة فكرية - سياسية" (مع التشديد على المدلول الفلسفي لكلمة عمارة)، لا بد ان ينفتح الاقن البيروني الضيق الذي كان ربما ينتظر ترداننا لـ"كلام العالم العربي مع نفسه" على حد تعبير هيكل. كما تسقط أنيا كل الانتقادات التي يمكن توجيهها، كالعادة، الى الكاتب بسبب التفاوت (المعمود عنده؟) بين سعة الرؤية وغنى المعلومات من جهة و"التسامح" مع بعض "التفاصيل" التاريخية، ومنها في كلامه قبل أمس ما قاله عن تشكيل مجلس الامن.

وكما عند هيكل، كذلك عند تويني، تصبح الاناقة الفكرية وسيلة معرفية. فها هو بازاء منتفتون يستنفر كائط وهيغل، ويقيم محاكاة بين ديغول الاستراتيجية والجغرافيا الذي استشهد به هيكل، وديغول العظمة والتاريخ. والسؤال دائماً من البطل؟

لكن البطل لم يحضر. واذ تعمد هيكل عدم ذكر عبد الناصر، الا عندما قال انه بالذات تعمد ذلك، حاصدا التصفيق، وأولا من تويني، بقيت الاسئلة الميكلمية مفتوحة على القلق، لا يهون من قساوتها الا المشهد الذي جاءت في اطره: مشهد حركية فكرية لعلها آخر ما يبعث على الامل لمستقبل الامة... وقلبيها.

سمير قصير